كليم الله
موسى عليه السلام

obeikandl.com

obeikandl.com

كليم الله موسى عليه السلام

إن كتابة قصة موسى عليه السلام تحتاج إلى عشرات المجلدات، حتى نلم بكل أحداثها وما جاءت به من شريعة، ولكن يلاحظ فيما كتبه بعض هؤلاء المفسرين أن فيه الكثير من البعد عن المنطق والعقل، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم لجئوا إلى الإسرائيليات وهم يكتبون قصة موسى عليه السلام.

ومن هنا فإن الوقوف عند حقائق هذه القصة يدعونا إلى التوقف عندما ذكره القرآن الكريم. رغم أن القرآن الكريم لا يتوقف عند التفاصيل.. إلا أن ما جاء فى القرآن الكريم فى مختلف السور يضعنا أمام القصة المتكاملة لكليم الله.. ونعرف أسرار هذه الدعوة.. وما جاءت به من هدى، وما ترسمه من نور يهدى الحائرين.. وهو هدف كل الرسالات السماوية نفسه.. لأن الهدف منها جميعًا واحد.. وهو الدعوة إلى التوحيد.. وعدم الشرك بالله.. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. والإيمان بالبعث الذى يُنصَب فيه ميزان العدل.. ليجازى كل إنسان بما قدمت يداه..

القرآن الكريم لا يحدثنا بتفاصيل القصة.. ولكنه يركز على الأحداث المهمة.. ومن خلال هذه الخيوط تتضح لنا معالم الصورة.

نحن نعرف أن فرعون كان قد أصدر أمرًا بأن يُقتَل كل طفل يولد فى بنى إسرائيل.. وهم نسل الذين جاءوا إلى مصر فى عهد يوسف الصديق.. ظناً منه كما أنبأه الكهان أنه سوف يولد منهم من سيقضى على ملكه! وفى هذا الجو المسعور وُلد موسى، الذى كان قد سبقه إلى الحياة بعام أخوه هارون.. وأوحى الله إلى أم موسى أن ترضعه وتضعه فى صندوق وتلقى به فى اليم.. وإذا بتيار النيل يقذف به إلى الشاطئ بجانب قصر الفرعون، وتراه زوجته التى تشعر بالحنين الجارف نحو هذا الطفل وتقرر أن تتخذه ولدًا.. وهكذا قُدِّر لهذا الرضيع أن يعيش فى قصر الفرعون نفسه!

وتمضى الأيام.. ويشب موسى عليه السلام.. وعندما يجد واحدًا من شيعته يقاتل أحد المصريين فيقتله المصرى عندما وكزه فقضى عليه. وكان عليه أن يهرب من مصر كلها خوفًا من انتقام فرعون!

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٥ – ١٧].

ونرى القرآن الكريم لا يهتم بتفاصيل الأحداث.. إنما يقف عند الأحداث الكبيرة التى كان لها تأثير فى حياة موسى والرسالة.. فما

يكاد موسى يعرف أن القوم يأتمرون به ليقتلوه، حتى قرر ترك مصر كلها.. تقوده قدماه حيث يشاء الله.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢٠، ٢١].

ويتوجه موسى عليه السلام إلى (مدين).. حيث يأوى إلى الظل طلبًا للراحة بالقرب من بئر يسقى منه الناس، ويرى فتاتين يمنعهما الحياء أن تزاحما الناس، فيملأ لهما وعاءهما وتعودان مبكرتين على غير العادة، ويقصان على والدهما ما فعله موسى من أجلهما فيستضيفه شعيب، ثم يقرر أن يزوجه إحدى هاتين البنتين على أن يخدمه ثمانى أو عشر سنوات، وعندم يتم الأجل، يقرر العودة بأهله إلى مصر.

وما كان موسى عليه السلام يدرى أنه سوف يُبعَث رسولا وهو فى طريق العودة.. يقص علينا القرآن الكريم ذلك بقوله:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ

نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه: ٩ - ١٦].

وبدأت أعباء الرسالة.. وعليه أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى الوحدانية.. ومعه برهانان أعطاهما الله تعالى له حتى يؤمن فرعون بالدعوة:

أن يلقى بعصاه فإذا هى حيه تسعى. وأن يضع يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، وهناك أكثر من آية فى أكثر من سورة من القرآن الكريم تتحدث عن تكليف موسى بالرسالة ووضع حد لعذابات بنى إسرائيل فى مصر. وإن الله يدعمه فى دعواه يقول تعالى فى سورة القصص:

﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٠ - ٣٥].

عندما نقرآ هذه القصة فى كتاب الله فى سوره المختلفة نلاحظ أن

الحوار الذى دار بين موسى عليه السلام وبين فرعون كان حوارا يحاول فيه موسى بالمنطق أن يقنع فرعون بأنه على ضلال.. وأنه ليس إلها.. وأن عليه أن يرضخ ويعتقد بالوحدانية، وأن يرفع الظلم عن الناس.. وعندما لا يعتقد فرعون بما جاء به موسى الذى رباه فى صغره.. لم يجد موسى مفرًا من أن يظهر آيات الله فى إعجازه. عندما يلقى بعصاه فتتحول إلى حية تسعى، وعندما يضع يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء.. ومع ذلك يظل فرعون على غيه، ولا يرى فيما جاء به فرعون إلا نوعًا من السحر.. وأنه سوف يبطل هذا السحر عندما يسلط عليه السحرة.. فليس هناك إله إلا هو نفسه، وهدده بالسجن إذا لم يؤمن بأنه إله!

﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وعندما تحدد موعد تحدى موسى لسحر السحرة، وألقى السحرة عصيَّهم فتحولت إلى حيات، وألقى موسى عصاه فإذا بها تتحول إلى حية تأكل ما يأفكون.. إذا بالسحرة يندهشون مما يرون.. فإن السحر هو مجرد عملية تجعل الآخرين يتخيلون ولا يرون الواقع.. ولكن عصا موسى لم تكن خداع بصر بل معجزة حقيقية، لأنها ابتلعت عصيهم وحبالهم ولم يعد لها وجود.. إن ما يرون معجزة وليس سحرًا.. ومن هنا فقد أعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون.

والقرآن الكريم بأسلوبه الموجز والمعجز يصور لنا هذا المشهد الفريد.

فقد جاء إلى موسى وحى ربه عندما ألقوا عصيَّهم وحبالهم فخيل

إلى من يرى ذلك أنها حيات حقيقية.. ولكن الله عز وجل يوحى بما يشجعه:

﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٨، ٦٩].

ولم يصدق السحرة أول الأمر، فقد غشيتهم الدهشة.. إن ما يرونه ليس سحرًا.. إنه معجزة.. وكان رد الفعل:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠].

واعترت الدهشة فرعون الذى سرعان ما هددهم:

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

ولكن الإيمان عندما يدخل القلب من الاستحالة أن يثنيه عن عزمه وعد أو عيد.. قالوا:

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

وبدلا من أن يثوب فرعون إلى رشده تمادى فى غيه وتوعد موسى

وأتباعه بالقتل.

وأوحى الله إلى نبيه الكريم أن يغادر مصر هو وأتباعه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء: ٥٢].

وخرج موسى وهارون وأتباعهم هربًا من فرعون، متجهين صوب البحر الأحمر، ولكن سرعان ما شعروا أن فرعون يتعقبهم، وأوحى الله إلى عبده ورسوله وكليمه أن يضرب بعصاه البحر، فإذا بطريق وسط البحر.. فانطلق موسى وقومه، وعندما تبعهم فرعون طوته صفحة المياه:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

وهكذا سار بنوا إسرائيل إلى سنياء، وتحرروا من طغيان فرعون.

وكالعادة التى فُطِر عليها بنو إسرائيل وسرعة تقلبهم وكثرة جدالهم مع أنبيائهم ورسلهم.. رغم النعم التى أسبغها الله عليهم، فقد ضرب موسى بعصاه الحجر فانبثقت منه اثنتا عشرة عينًا.. كما أهداهم الله المنَّ والسلوى.. إنهم هم لم يتغيروا رغم المعجزات التى شاهدوها، فما كاد موسى يذهب إلى المكان المقدس لمناجاة ربه.. حتى عادوا إلى ضلالهم.. ونسوا كل شيء.. وعادوا إلى عبادة

العجل الذى صنعه لهم السامرى!

وعندما عاد موسى إلى قومه ووجدهم قد ضلوا وأضلوا فأحس بالأسى والحزن والثورة فى الوقت نفسه.. قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦].

وكان جوابهم:

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

وعندما عاتب موسى أخاه هارون قال له:

﴿يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بلحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

وكانت حجة هارون أنهم استضعفوه وحاولوا قتله، فما كان من موسى إلا أن قال:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وأحرق موسى العجل وألقى به فى البحر، والعجيب أن قومه تمادوا أيضًا فى عنادهم وكفرهم حتى بعد أن أخذ سبعين منهم لميقات

الله، فقد طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة!

وكادت صاعقة أن تصعقهم لولا دعاء موسى:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وأمرهم موسى بالوصايا العشر التى تضمن:

- عبادة الله وحده لا شريك له.
- عدم قتل النفس التى حرم الله قتلها.
- عدم الحلف بالله كذبًا.
- النهى عن القتل والكذب.
- النهى عن السرقة.
- عدم الحسد.
- البعد عن شهادة الزور.
- أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه،
- عدم اشتهاء زوجة القريب وممتلكاته.
- أن يكون هناك يوم للعبادة (السبت).

لقد صام موسى أربعين يومًا عند ذهابه لملاقاة ربه.. ولقد

obeikandl.com

اشتاقت روحه، وتاقت نفسه لرؤية خالقه، ونسى فى غمرة هذا الحب أن رؤية الله تعالى مستحيلة، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

إنها الأشواق العارمة فى أعماقه هى التى دفعته فى لحظات هذا الحب العارم أن يطلب من ربه هذا الطلب مع استحالته:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ومن خلال قصة موسى عليه السلام نعرف كيف صبر على قومه من اليهود.. إنهم رغم كل معجزات موسى عليه السلام سرعان ما يرجعون إلى الضلال.

لقد رأوا كيف أنقذهم الله سبحانه وتعالى من بطش فرعون وجنوده وغرقه، وأنهم انطلقوا إلى الجانب الآخر.. إلى أرض سيناء بعد أن أوجد الله لهم طريقًا يابسة وسط مياه البحر. ومع ذلك ضلوا وعبدوا العجل، وعندما حطمه موسى عليه السلام، تمادى بهم الهوى فأرادوا رؤية الله جهرة وأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.. ومن قبل ذلك عندما طلب منهم ذبح بقرة، أخذوا يساومون عن شكلها

ولونها.. وهم لا يريدون ذبحها حتى حددها لهم موسى تحديدًا قاطعًا فذبحوها بعد جدل طويل.

إنهم دائمًا يخالفون رسلهم.

ولم تردعهم المعجزات وتعيد إليهم الوعى، فعندما طلب منهم موسى عليه السلام الدخول إلى الأرض المقدسة رفضوا بحجة أن بها قوما جبارين، وأن عليه أن يذهب هو وهارون لقتالهم، أما هم فلن يذهبوا معه! فكان عقابهم أن يتيهوا فى الأرض أربعين عامًا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦].

وما أبعد الفارق بين قوم موسى عليه السلام.. وأمة محمد ﷺ

إذا كان بنو إسرائيل رفضوا القتال وطلبوا من موسى أن يذهب هو وأخوه للقتال.. فإن الموقف اختلف تمامًا عندما سأل النبى أصحابه المشورة وهو يواجه صلف كفار مكة الذين تحركوا لقتال الرسول فى بدر، فما كان من أصحابه إلا أن خرج من بينهم الصحابى الجليل سعد بن معاذ قائلا له:

(كأنك تعرض بنا يا رسول الله؟ فوالذى بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا.. إنا لصُبُر فى الحرب، صُدُق فى اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله).

وقال أحدهم:

(والله لن نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك) شتان بين الموقفين.

وهناك جانب آخر فى قصة موسى عليه السلام. إنه جانب فى غاية الأهمية؛ لأنه يتحدث عن أمور الغيب التى لا نعرف عنها شيئًا.

فما أكثر ما نرى من أحداث الحياة من الأمور المتناقضة التى يصعب على العقل الإنسانى أن يدرك معناها.. ولكن لو أدرك المعنى فإنه سوف يرى أنه ليس هناك تناقض أبدًا فيما تجرى به الأقدار، وأن

ما نراه متناقضًا يرجع إلى عجز عقلنا البشرى.. وهذا يدركه تمامًا من وهبهم الله (العلم اللدنى) من أوليائه الصالحين.

وهذا المعنى يبرز تمامًا فيما ساقه القرآن الكريم بلقاء موسى عليه السلام وهو نبى الله وكليمه مع الخضر عليه السلام الذى وهبه الله هذا (العلم اللدنى).

فموسى عندما سار مع هذا العبد الصالح رأى أمورًا لم يستسغها عقله. كيف يخرق هذا العبد الصالح سفينة ويعيبها. وعندما رأى طفلاً فقتله، وعندما ذهب إلى إحدى القرى ورفض أهل هذه القرية استضافتهما إلى أن رأى العبد الصالح جدارًا آيلا للسقوط فأقامه.

لقد رأى نبى الله موسى عليه السلام فى هذه الأحداث أشياء لا يعقلها عقل.. إنه يريد تفسيرًا لما شاهد من أحداث، رغم أن العبد الصالح قد حذره بأنه لن يستطيع معه صبرًا.. وعلل له ذلك: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا!

ومع ذلك فقد ضاق موسى عليه السلام بما رأى.. إنها أمور تستعصى تمامًا على الفهم.. وعندما شرح له العبد الصالح ما شاهده من أحداث تيقن كليم الله أن علم الله فوق إدراك البشر، وأن هناك من أصفياء الله من يهبهم الله تعالى بعض علمه اللدنى فيفهمون بأمر الله ما يستعصى على فهم البشر حتى لو كانوا من أنبياء الله ورسله.

وربما هذا الجانب من العلم.. (العلم اللدنى) - من لدن الله

تعالى - كان هو السبب الذى تمسك به الصوفية على أساس أن هناك من عباد الله من ليسوا بأنبياء ولا رسل ومع ذلك يغبطهم الأنبياء والرسل لما وصلوا إليه من قرب الله تعالى.. والله سبحانه وتعالى يقول عن هؤلاء الأولياء:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] وهناك الحديث القدسى الذى رواه الرسول ﷺ:

«من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإذا سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنَّه».

ويقول بعض المفسرين إن الخضر عليه السلام ولى من أولياء الله.. وقد فسر لموسى عليه السلام ما عجز فهمه عن إدراكه.. فإن السفينة كانت لمساكين يعملون فى البحر، وكان هناك ملك ظالم يستولى على السفن لنفسه، فأعاب الخضر السفينة، مما جعل الملك لا تستهويه هذه السفينة، وبالتالى ظلت ملكًا لأصحابها حتى يمكنهم العيش منها.

وأما الغلام الذى قتله فكان سيصبح شقيًا يتعب والديه فأبدلهما الله خيرًا منه.

وأما المنزل الذى أقامه فكان لأطفال يتامى وكان لهم والد صالح، وكان تحت هذا المنزل كنز، وشاءت إرادة الله عز وجل أن يظل هذا البيت متماسكًا حتى يكبر الصغار، ويستفيدوا من الكنز الذى تركه لهم الوالد الصالح.

وهذه بعض من أمور الغيب التى لم يستطع موسى عليه السلام صبرًا عليها.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن

رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٧١ - ٨٢].

والآيات تبين أن الخضر لم يفعل ما فعل بإرادته بل بالهام من الله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

وإذا كان البعض قد قال عن الخضر إنه ولى، فقد قال البعض الآخر إنه نبى!

وقد أورد الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق العديد من كرامات الأولياء، وتحدث عن الحدود الفاصلة بين الكرامة والخرافة، وكان مما قاله:

(وكرامات الصحابة والتابعين لا تكاد تحصى: ففى البخارى أن رجلين خرجا من عند رسول الله ﷺ فى ليلة مظلمة فإذا بالنور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما!)

وفى البخارى أيضًا أن عمران بن حصين كانت تكلمه الملائكة.

ونادى عمر بن الخطاب: «يا سارية الجبل» يحضه على الرجوع إلى الجبل حذرًا من العدو، وبينهما مسيرة أيام فسمعه سارية، فرجع إلى الجبل وسلم من العدو.

ويقول صاحب كتاب نشر المحاسن عن ظهور الكرامات:

(إن ما جاء عنها فى القرآن الكريم، والأخبار والإسناد ما يخرج

عن الحصر والتعداد، فمن ذلك فى القرآن الكريم ما أخبر الله تعالى عن مريم رضوان الله تعالى عليها بقوله عز وجل:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء. هكذا جاء فى التفسير. وكذلك إلهام أم موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ فى أمرهما ما هو معروف.

وكذلك أخبرنا الله تعالى من العجائب على يد الخضر رضوان الله تعالى عليه مع موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وكذلك قصة ذى القرنين ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وتمكين الله تعالى له ما لم يمكنه لغيره. وكذلك قصة عرش بلقيس فى قوله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠].

وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء بل أولياء).

ويقول الإمام الشافعى:

(ظهور الكرامات على الأولياء - رضى الله تعالى عنهم - جائز عقلاً وواقع نقلاً.

أما جوازه فى العقل فلأنه ليس بمستحيل فى قدرة الله تعالى. بل هو من قبيل الممكنات. كظهور معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والأصوليين، والفقهاء والمحدثين رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وتصاريفهم ناطقة بذلك شرقًا وغربًا، عجمًا وعربًا).

إن قصة موسى عليه السلام.. ومواقفه.. وقربه من الله عز وجل وما فى هذه القصة من عبر وعظات.. تجعلنا نفكر طويلاً طويلاً.. فى الحياة وما وراء الحياة.. وتجعلنا نعرف أن الله سبحانه وتعالى هو الحق والحقيقة.. وأن العز كل العز والسعادة كل السعادة بالقرب منه، والشقاء كل الشقاء.. والتعاسة كل التعاسة فى البعد عنه.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].